﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: 218]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

التَّعقيب بذكر أهل الإيمان بعد ذكر أهل الرِّدَّة والكفران

لمَّا بَيَّن الله سبحانه وتعالى المقطوعَ لهم بالنَّار بَيَّنَ الّذين هُم أَهلٌ لِرجاء الجنَّة، لئلا يزال العبد هاربًا من مُوجبات النَّار مُقبِلًا على مُوجباتِ الجنَّة، خوفاً من أن يقع فيما يُسقِطُ رجاءَهُ فلمَّا ذَكَرَ أَمرَ المُتَزَلزِلِينَ ذَكَرَ أَمرَ الثَّابتين[1].

فهذا التَّعقيب هو باب تَعقيب الإنذار بالبشارة وتَنزيهٌ للمؤمنين مِن احتمال ارتدادهم، فإنَّ المُهاجرينَ لم يَرتَدَّ منهم أَحدٌ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَاجَرُواْ﴾: أصل (هَجَرَ) يدُلُّ على قطيعةٍ وقَطعٍ، والهَجرُ: ضدُّ الوَصلِ، وهاجر القومُ مِن دارٍ إلى دارٍ: تركوا الأُولى للثَّانية، وكذلك الهِجرَانُ، ومنه سُمّي المُهاجرونَ؛ لأَنَّهم هجروا بلادهم، أَي: تَركوها وصاروا إلى رسول الله ﷺ والهَجرُ والهِجران مُفارَقة الإنسان غَيرَهُ إمَّا بالبدن أو باللِّسانِ أو بالقلب. والمعنى هنا: تركوا دُورَهُم وعَشائرَهم في الله ﷻ، وخرجُوا من دار الكُفر إلى دار الإسلام[3].

2) ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾: أَصلُ (الجُهدِ) الطَّاقةُ والمشقَّةُ، يُقالُ: جَاهَدَ العَدوَّ مُجاهدَةً وجِهَادًا: قاتَلَه، والجِهادُ والمجاهدَةُ: استفراغ الوُسْعِ في مُدافَعَةِ العدُوِّ، فالجهاد استفراغُ ما في الوُسْعِ والطّاقَةِ من قَولٍ أَو فِعلٍ، والمعنى هنا: مُحاربةُ الأَعداءِ[4].

3) ﴿يَرْجُونَ﴾: أصل (رجى) يدُلُّ على الأَمل، يُقال: رَجا يَرجو رَجاءً نقيض اليَأس،

(1) البِقاعيّ، نَظم الدّرر: 1/407.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/337.
(3) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عُمدة الحفّاظ، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن عبّاد، المُحيط، والسِّجستانّي، غريب القرآن: (هجر).
(4) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عُمدة الحفّاظ، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (جهد).

والرَّجاء بمعنى الأمل والطَّمع؛ لأنَّ الرَّاجي ليس مُطمَئِنًّا مُتَيَقِّنًا بحصول ما يرجو، بل تُخالِجُهُ درجةٌ من تَوَقُّعِ الحرمان، والمعنى هنا: يَطمَعونَ في رحمة اللّه[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإيمان والهجرة والجهاد من أسباب الثَّبات على الدِّين، ومن مُوجبات الفوز بجنَّات النَّعيم

إنَّ الّذين صَدّقوا باللّه ورسوله، وعَمِلوا بشرعه، والّذين تركوا أوطانهم مُهاجرين إلى اللّه ورسوله لِنُصرة الدِّين، وقاتلُوا لِتكون كلمةُ اللّه هي العليا؛ أولئك يَطمعونَ في فضل اللّه، وثوابه، ومغفرته، واللّه غفور لذنوب عباده رحيم بهم رحمةً واسعةً[2].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نُكتةُ تَكرار الاسم الموصول:

تعظيم الهجرة والجهاد، وبيان أثرِهِمَا في تَحْقِيق الرَّجاء

تكرّرَ الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ لتعظيم الهجرة والجهاد، كأنَّهما مستقلَّان في تحقيق الرَّجاء[3]، ولَمَّا كان الإيمان هو الأصل؛ أُفرد به موصول وَحدَه، ولَمَّا كانتِ الهجرة والجهاد فرْعَيْنِ عنه أُفردا بموصول واحد؛ لأنَّهُما من حيث الفرعيَّة كالشَّيء الواحد[4]، ويكون قوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مُتعلِّقًا بالفعلَين على سبيل التَّنازع[5].

فَتَكريرُ الموصولِ بالنّسبة إلى الصِّفات لا الذَّوات؛ فإنَّ الذَّواتِ مُتّحِدَةٌ موصوفةٌ بالأوصاف الثَّلاثة، فهو من باب عَطفِ بعض الصِّفات على بعض، والموصوفُ واحدٌ[6].

---

(1) الخليل، العين: (رجو)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (رجي)، جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رجو)، والقِنّوجيّ، فتح البيان: 1/438.

(2) لجنةٌ مِن علماء الأزهر، المُنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 50، ونخبةٌ مِن العلماء، التفسير المُيسّر، ص: 34، وجماعةٌ مِن علماء التّفسير، المُختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 34.

(3) البَيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/137، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/337.

(4) أبو حَيّان، البحر المُحيط: 2/394.

(5) القونويّ، حاشية القونَويّ على البَيضاويّ: 5/201.

(6) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 2/402.

سِرُّ ترتيبِ الأوصَافِ الثَّلاثةِ: الإيمان ثُمَّ الهجرة ثُمَّ الجهاد:

الإيمانُ والهِجْرَةُ والجهادُ: عنوانُ السَّعادَةِ وقُطْبُ رَحَى العُبُودِيَّة

جِيءَ بهذه الأوصافِ الثَّلاثةِ مُرتَّبةً على حسب الواقع؛ إذِ الإيمانُ أولُ ثُمَّ المُهاجَرةُ ثُمَّ الجهادُ، وأتى بخبرِ (إنَّ) اسمَ إشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ لأنّه مُتضمِّنٌ للأوصاف السّابقة، فَقَدَّم الهجرةَ على الجهاد لِتقدُّمها عليه في الوقوع تَقَدُّم الإيمان عليهما[1].

وهذه المنازل الثَّلاثة الّتي هي: الإيمان، والمهاجرة، والجهاد هي المعنيَّة بقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [المائدة: 35]، ولا سبيل إلى المهاجَرة إلّا بعد الإيمان، ولا إلى جهاد الهوى في سبيله إلّا بعد هجران الشَّهوات، ومن وصل إلى ذلك حُقّ له أن يرجوَ رحمته، والرَّاجونَ رحمةَ اللَّهِ هُمُ الَّذين قاموا بهذه الثَّلاثة[2].

فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هُمُ الرَّاجينَ رحمةَ الله؛ لأنَّهم أتوا بالسَّبب المُوجِبِ للرَّحمة، وفيه دليل على أنَّ الرَّجاء لا يكون إلّا بعد القيام بأسباب السَّعادة، فهذه الأعمال الثَّلاثة هي عنوان السَّعادة، وقُطْبُ رحى العبوديَّة، وبها يُعرَفُ ما مع الإنسان من الرِّبح والخسران[3].

إثبات الرّجاء لهم دون الفوز بالمرجوِّ:

العملُ غيرُ مُوجِبٍ للأجر والثَّواب، وإنَّما هو مَحضُ تَفضُّلٍ مِنَ الله تعالى

مع أنَّ رحمةَ الله مُستَحَقَّةٌ للمؤمنين إلّا أنَّهم طَمِعُوا في نَيلِها ولم يجزموا بها؛ لأنَّهم لَمَّا لم يعلموا حالهم في المستقبل جاز أن يرجوا الرَّحمة خوفًا أن يحدث من مستقبل أمورهم ما لا يَستَوجِبونها معه، وصيغة المستقبل ﴿يَرۡجُونَ﴾ للاستمرار؛ إشعارًا بأنَّ العملَ غيرُ مُوجِبٍ، أو بأنَّ عادات العُظماءِ ذكر الرَّجاء في مقام القطع واليقين

(1) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 2/402، والآلوسيُّ، روح المعاني: 2/113.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/448، وابن التَّمجيد، حاشية ابن التَّمجيد على البَيضاويّ: 5/201، والبروسوي، روح البيان: 1/417.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 98.

والعبرة بالخواتيم، والحال في الخواتيم غير معلوم فلا سبيل إلى القطع بالرَّحمة، والرَّأفة في الآخرة[1].

كما رجوا الرَّحمة لأنَّهم لم يَتَيَقَّنوها بتأدية كلِّ ما أوجبه الله تعالى عليهم[2]، بل هم مُستَقصِرونَ أنفسهم في حقّ الله تعالى يرون أنَّهم لم يَعبُدوهُ حَقَّ عبادته، ولم يقضوا ما يلزمهم في نُصرَة دينه، فَيُقدِمونَ على الله مع الخوف والرَّجاء[3]، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون: 60].

ولأَجلِ تحقيق هذه المعاني عَبَّرَ النَّظمُ الكريم بالرَّجاء، لأنَّ من معانيهِ الخوفَ، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [نوح: 13] أي: لا تخافون عظمة الله، فيكون في الكلام مجاز علاقته اللّزوم؛ لأنّ الرَّجاء لا يكون إلّا مُلازمًا للخوف[4].

فوعدُ الله وإن كان لا يُخلَفُ فَضلًا منه وصدقًا، ولكنّ الخواتم مَجهولةٌ، ومُصَادَفَةُ العمل لمُرادِ الله قد تَفوتُ لموانع لا يَدريها المُكَلَّفُ، ولئلا يَتَّكلوا في الاعتماد على العمل[5].

فأثبت لهُمُ الرَّجاءَ دونَ الفَوزِ بالمرجوِّ للإيذان بأنَّهُم عالمون بأنَّ العملَ غيرُ مُوجِبٍ للأجر، وإنَّما هو على طريق التَّفضُّل منه سبحانه[6].

فهؤلاء هم خيار هذه الأمَّة جعلهم الله أهل رجاء، فمن رجا طلب، ومن خاف هرب[7].

سِرُّ تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ إليهِ بِاسْمِ الإشارَة من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾:

الإيـــذانُ بعُـلوّ شأن المُشارِ إليه وبُعدِ مَنزِله

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾؛ هذه الجملة خبر ﴿إِنَّ﴾؛ واسمها ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وجاء خبر إنَّ جملة مؤلفة من (أولاء) مبتدأ و﴿يَرۡجُونَ﴾ جملة خبر المبتدأ الثَّاني، والجملة من المبتدأ الثّاني والخبر: خبر إنَّ، وفي الإشارة بمبتدأ جديد دلالة على رفعة مقامهم، ولا سيّما أنَّهُ قد أتى باسم الإشارة، وتصدير خبر ﴿إِنَّ﴾

(1) القونويّ، حاشية القونَويّ على البَيضاويّ: 5/201.
(2) الماورديّ، النُّكت والعيون: 1/275.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/34.
(4) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 4/25، والقِنّوجيّ، فتح البيان: 1/438.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/338.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/218.
(7) الخازن، لُباب التّأويل: 1/207.

باسم الإشارة للبعيد يدُلُّ على علوّ همّتهم؛ فيكون في ذلك تنويه بذكرهم من وجهين:

أوّلهُمَا: الإشارة إليهم بما يدُلُّ على الرّفعة والعلوّ.

والآخَرُ: أنّ تعدد المبتدأ يجعل الجملة الواحدة كالجملتين؛ فيكون في ذلك توكيد على توكيد[1].

فجيء بإنَّ واسميّة الجملة، وَجِيءَ باسم الإشارة للدَّلالة على أَنَّ رجاءَهُم رحمةَ اللَّه لأَجل إيمانِهِم وهِجرَتِهِم وجِهادِهِم، ولأجل تأكيد هذا المعنى فتأَكَّدَ بذلك ما يدُلُّ عليه الموصول مِنَ الإيماء إلى وَجه بناء الخبر، وإنَّما احتيجَ لتأكيدِهِ، لأَنَّ الصِّلَتَين لَمَّا كانَتا ممَّا اشتُهِرَ بهما المسلمون وطائفةٌ منهم صارتا كاللَّقب؛ إذ يُطلَقُ على المسلمين يومئذٍ في لسان الشَّرع اسمُ (الَّذينَ آمَنوا)، كما يُطلَقُ على مُسلمي قريشٍ يومئذٍ اسمُ (المهاجرين)، فأَكَّدَ قَصدَ الدَّلالةِ على وَجه بناءِ الخبر مِنَ الموصول[2].

دلالةُ التّذييل بذكر المغفرة والرَّحمة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

تَحْقِيقُ المُبالغة في وَصْـفِ الله تعَالَى بالْمَغْفِرَةِ والرَّحمة

هذا تذييلٌ لما تقدَّمَ وتأكيدٌ له، فاللّه ﴿غَفُورٌ﴾ مبالِغٌ في مغفرة ما فَرَطَ من عبادِهِ خَطَأً، ﴿رَّحِيمٌ﴾ يُجزِل لهم الأجرَ والثوابَ، ولم يَذْكُرِ المغفرةَ فيما تقدَّم؛ لأنَّ رجاء الرَّحمة يدُلُّ عليها، وقدَّمَ وصف المغفرةِ؛ لأنَّ درءَ المفاسد مُقدَّمٌ على جَلبِ المصالح، فالجملةُ تذييل محقِّقٌ لِمضمون ما قبلها[3]، كما أنَّ في إظهار الاسم الجليل في هذا التّذييل تربية للمهابة الجالبة للطَّاعة والاستجابة، وهما من مُوجبات الرَّحمة والغفران[4].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التَّمنّي والتّرجّي:

التَّمَنّي هو الرَّغبةُ في حُصول الشَّيء المستحيل، كقول الكافر عند

(1) ابن عُثَيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 3/63.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/338.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/218، والآلوسّي، روح المعاني: 1/506.

(4) القونويُّ، حاشية القونويّ على البَيضاويّ: 5/201.

مُعاينة العذاب ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: 24]، أَو ما في حُكم المستحيل ممَّا يُمكنُ وُقوعُهُ، مِثلَ قَول الّذين يريدون الحياة الدُّنيا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [القَصص: 79]، ويُعَبَّرُ عليه غالبًا بالأَداة (ليت)، فهي حرف تمنٍّ يتعلّق بالمستحيل غالبًا وبالممكن قليلًا[1].

التَّمنّي يكون في المستحيل وما في حُكم المستحيل، والرَّجاء يختَصُّ بالممكن

أمّا التَّرجّي فهو رغبةٌ وطمع في حُصولِ أَمرٍ مُمكِنِ الحدوث[2]، كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ [القصص: 22]؛ وتُستخدم فيه الأَداةُ (لعلَّ) غالبًا.

فكلٌّ من التّمنّي والتّرجّي يَشتَمِلُ على معنى الطَّلب، إلَّا أَنَّ التَّمنّي يكون في المستحيل والممكن القريب منه، والرَّجاءَ يختصُّ بالممكن[3]، فالترجّي توقُّعُ أمرٍ مشكوكٍ فيه أو مظنونٍ، والتّمنّي طلبُ أمر موهوم الحصول وربّما كان مستحيلَ الحصول، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ [الحاقّة: 27]، و﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ [مريم: 23]، وهذا طلبٌ مستحيل؛ إذ كان الواقع بخلافه[4].

التَّمنّي يكون مع الكسل، والرَّجاء يكون مع الجهد والعمل:

يكون التّمنّي مع الكسل، ولا يَسلُكُ بصاحبه طريقَ الجِدِّ والاجتهادِ، والرَّجاءُ يكونُ مع بَذل الجُهد وحُسن التَّوكُّل.

فالأوّل: كحال مَن يتمنَّى أَن يكونَ له أَرضٌ يَبذُرُها ويأخذُ زرعَها.

وَالثَّاني: كحال مَن يشقُّ أَرضَه، ويفلحُها، ويبذرُها، ويرجو طلوعَ الزَّرع.

ولهذا أَجمعَ العارفون على أَنَّ الرَّجاءَ لا يَصِحُّ إلَّا مع العمل[5].

(1) ابن هشام، مُغني اللَّبيب، ص: 375.
(2) الدَّماميني، تعليق الفرائد: 4/15.
(3) العسكريّ، الفُروق اللّغويّة، ص: 74، والصَّبّان، حاشية الصَّبّان على شرح الأشمونّي: 1/399.
(4) ابن يعيش، شرح المفصّل: 4/570.
(5) ابن قيّم الجوزيّة، مَدارج السّالكين: 2/37.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»